Comprehensive Journal of Humanities and Educational Studies
المجلة الشاملة للدراسات الإنسانية التربوية
Volume 1, Issue 2, 2025, Pages: 76-87
Journal homepage :http://cjhes.com.ly/index.php/cjhes/en/index

Reconstructing the Historical Methodology in Reading Texts: An Applied Study

Emhemed Enwiji Ahmed Ghomid *
Department of History, Faculty of Arts/Al-Khums, Elmergib University, Al-Khums, Libya

إعادة بناء المنهجية التاريخية في قراءة النصوص: دراسة تطبيقية

امحمد انويجي غميض *
[1] قسم التاريخ، كلية الآداب /الخمس، جامعة المرقب، الخمس، ليبيا

*Corresponding author: eegomud@elmergib.edu.ly

Received: September 02, 2025	Accepted: November 05, 2025	Published: November 15, 2025

الملخص

يمكن وصف أزمة المنهج التاريخي وأدواته المنهجية بالتوتر بين السرديات التقليدية الموروثة التي تميل إلى التفسير الخطي والمركزي للأحداث، وبين المناهج النقدية الحديثة التي تدعو إلى تفكيك النصوص التاريخية وقراءتها بوصفها نتاجاً لشبكات معقدة من الخطابات والقوى، إذ تكمن الإشكالية المعرفية في كيفية الموازنة بين احترام المادة التاريخية الأصلية وإخضاعها في الوقت نفسه لأدوات تحليل نقدي متعددة الحقول بما يتيح إنتاج معرفة تاريخية تتجاوز حدود الانحياز والتعصب، وتفتح آفاقاً لفهم أعمق للنصوص التاريخية .وتأسيساً على ما تقدم يمكن للباحث في علم التاريخ تغيير الخطوات المنهجية في تحليل النصوص التاريخية وإعادة ضبط وتنظيم دراسته وذلك من خلال إعادة بناء الإشكالية بدلاً من إعادة طرح المشكلة، ففي إطار المنهج التقليدي تطرح المشكلة في الدراسات التاريخية على هيئة سؤال يركز على الحدث أو الواقعة في محاولة لإثبات حقيقة ما وذلك من خلال استدعاء الشواهد لإثبات تلك الحقيقة المفترضة ويكون السؤال المحوري في الدراسة التي تعتمد على المنهجية التقليدية هو (لماذا حدث الحدث؟ وما أثر ذلك الحدث على السياق التاريخي؟)، ولكن عندما يتحول النص التاريخي إلى بنية خطابية تحمل دلالات ومعاني ومقاصد وأفعال لغوية ضمن سياق الحدث التاريخي فإن طرح المشكلة ينبغي أن يراعي تلك الدلالات والمقاصد والأفعال اللغوية وبذلك يتحول السؤال من (ماذا حدث؟) إلى (كيف تم تصور وتمثل ما حدث؟ ولماذا تمت كتابته في المصادر بهذه الكيفية؟) وهكذا تُبنى الإشكالية ليس فقط حول تفسير الحدث التاريخي كما نطق به النص بل أيضاً -وهذا هو المهم - تحليل دلالاته وتصورات كاتبه ولماذا كتبه بهذا التصور؟ ولأي جمهور كتب؟ وبأي أدوات لغوية وسيميائية صيغ؟

الكلمات المفتاحية: المنهج التاريخي، النصوص التاريخية، المعاني، النوايا، الأفعال اللغوية.

Abstract

The crisis of the historical method and its methodological tools can be described as a tension between inherited traditional narratives, which tend toward a linear and centralized interpretation of events, and modern critical approaches that call for deconstructing historical

texts and reading them as products of complex networks of discourses and forces. The epistemological dilemma lies in how to balance respecting the original historical material with subjecting it, at the same time, to multidisciplinary critical analysis tools. This allows for the production of historical knowledge that transcends bias and prejudice, opening horizons for a deeper understanding of historical texts. Based on the above, the historian can modify the methodological steps in analyzing historical texts and readjust and reorganize their study by reconstructing the problem rather than simply re-posing the issue. Within the framework of the traditional method, the problem in historical studies is presented as a question that focuses on the event or occurrence in an attempt to establish a certain truth by invoking evidence to prove that supposed truth. The central question in a study that relies on the traditional methodology is: Why did the event happen? What was the impact of that event on the historical context? However, when a historical text transforms into a discursive structure imbued with meanings, intentions, and linguistic acts within the context of the historical event, the problem posed must consider these meanings, intentions, and linguistic acts. Thus, the question shifts from "What happened?" to "How was what happened conceived and represented?" and "Why was it written in the sources in this way?" The problem, therefore, revolves not only around interpreting the historical event as expressed in the text, but also-and this is crucial-analyzing its meanings and the author's perceptions. Why was it written in this way? For which audience was it written? And with what linguistic and semiotic tools was it formulated?

Keywords: Historical Method, Historical Texts, Meanings, Intentions, Linguistic Acts.

المقدمة :

أزمة المنهج التاريخي

تواجه الدراسات التاريخية إشكالية في المنهج التاريخي ومنهجيته (بدوي، 2009)، على الرغم من أن المنهج التاريخي يشكل العمود الفقري للبحث في الماضي وفهم الحاضر غير أنه لم يكن بمنأى عن الأزمات المعرفية والمنهجية التي تعكس طبيعة السلطة والمعرفة عبر التاريخ فمنذ بدايات التدوين التاريخي العربي الإسلامي سنة 151 هـ (الجابري، 2006)، خضع المؤرخ لسلطة المرجعيات الفكرية والدينية والسياسية وفُتِحت صياغة السرديات في إطار يخدم بناء هوية طائفية، أو مذهبية، أو جماعية، أو تثبيت شرعية سلطوية معينة وهو ما جعل من التاريخ العربي الإسلامي مجالاً لإنتاج خطابات ونصوص تحكمها علاقات القوة، وليس حقائق الواقع للحدث التاريخي (أبو زيد، 2000) .ويمكن وصف أزمة المنهج التاريخي وأدواته المنهجية بالتوتر بين السرديات التقليدية الموروثة التي تميل إلى التفسير الخطي والمركزي للأحداث، وبين المناهج النقدية الحديثة التي تدعو إلى تفكيك النصوص التاريخية وقراءتها بوصفها نتاجاً لشبكات معقدة من الخطابات والقوى، إذ تكمن الإشكالية المعرفية في كيفية الموازنة بين احترام المادة التاريخية الأصلية وإخضاعها في الوقت نفسه لأدوات تحليل نقدي متعددة الحقول بما يتيح إنتاج معرفة تاريخية تتجاوز حدود الانحياز والتعصب، وتفتح آفاقاً لفهم أعمق للنصوص التاريخية، ولعل دراسة المنهج التاريخي في إطاره التقليدي محكوم بعدة محددات ظلت تحكم الكتابة التاريخية منذ عصر التدوين حتى يومنا هذا، هذه المحددات البنيوية والمنهجية التي أسهمت بشكل فعال في تشكيل إنتاج المعرفة التاريخية وفي نفس الوقت عمقت من أزمة المنهج التاريخي ومنهجيته (الربيعي، 2000)، ويمكن تلخيص تلك المحددات في الآتي:

أ- سيطرة منهج علم الحديث وأدواته على المنهجية التاريخية، إذ تأثرت عملية جمع الروايات التاريخية وتوثيقها بمناهج المحدثين في نقد السند والمتن، مما أدى إلى التركيز على صحة الإسناد أكثر من الاشتغال على تحليل البنية التاريخية وقراءة السياق الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للأحداث التاريخية (الربيعي، 2000).

ب- انحياز المؤرخ إلى التأويلات الأيديولوجية والعقائدية والمذهبية المسبقة حيث يميل كثير من المؤرخين إلى تفسير الأحداث بما يتوافق مع قناعاتهم المذهبية أو السياسية وهذا ما يجعل من النصوص التاريخية التي كتبوها انعكاساً لرؤية جزئية لا رواية موضوعية شاملة (سليم، 2006).
ج -إعادة إنتاج النصوص التاريخية وفق أطر فكرية منحازة، إذ يُعاد صياغتها واقتباسها بما يخدم توجهات فكرية أو سلطة سياسية معينة مما يزيد من تعميق الانغلاق المعرفي، ويحد من إمكانية قراءة النصوص بوعي نقدي جديد (سليم، 2006؛ محمد، د.ت.)
د- استخدام النصوص التاريخية كشواهد منتقاة لإثبات وقائع برؤية أحادية حيث يتم توظيف النصوص بوصفها أدلة مُصطَفّة ومتماسكة لتأكيد سردية محددة دون توسيع الدائرة لضم نصوص مضادة لتلك السردية واحتمال تعدد التفسيرات (أبو زيد، 1996).
إنّ المحددات المتقدمة كونت عبر زمن طويل بنية صلبة للكتابة التاريخية وفق المنهجية التقليدية للمنهج التاريخي حيث أُعيد إنتاج السرديات التاريخية ضمن أطر منهجية وفكرية مغلقة مما جعل التاريخ في كثير من الأحيان مرآة عاكسة لانحياز المؤرخين أكثر من كونه مصدراً محايداً لفهم الماضي، فَهَيْمَنَةُ منهج علم الحديث أسهمت في إعلاء شأن التوثيق السندي على حساب التحليل النقدي للنصوص بينما رسخت التأويلات العقائدية والأيديولوجية رؤية أحادية للأحداث التاريخية، وأثبتت عملية إعادة إنتاج النصوص التاريخية ضمن قوالب منحازة واستعمالها كشواهد انتقائية إلى حد كبير، كأداة لتثبيت السلطة والمعرفة في يد نخبة عقائدية أو مذهبية معينة ونحت هوية خاصة بهم ورفض كل ميدان رحب يُعنَى بتعدد القراءات (سليم، 2006).
إن تلك المحددات لم تقتصر على توجيه الكتابة التاريخية فقط بل ساهمت في تكريس أزمة عميقة داخل المنهج التاريخي ذاته وفي منهجيته حيث أفرزت إنتاجاً معرفياً أسيراً لقيود السردية الأحادية والانحيازات المسبقة وهو ما حد من قدرة المنهج التاريخي على التطور والانفتاح على آفاق بحثية أوسع وتجاوز هذه المحددات يتطلب إعادة بناء المنهج التاريخي، وذلك بدمج أدوات مناهج التحليل المختلفة بما يتيح قراءة الماضي في ضوء أسئلة الحاضر دون الارتهان لقيود الموروث وحده .
ولعل ما شهدته العلوم الإنسانية في العقود الأخيرة من القرن العشرين وبدايات القرن الحالي من تحولات عميقة في مقاربة النصوص التاريخية نتيجة الانفتاح على علوم اللغة واستعمال مناهجها: كمنهج التحليل السيميائي والتحليل التداولي وتحليل الخطاب قد انعكس على التحولات المنهجية في علم التاريخ، التي يجب ألا تكتفي بخطوات البحث التقليدية التي تجعل من النصوص التاريخية متراصة في صف واحد تردد نفس الكلمات كشواهد على الأحداث التاريخية تراها من عين واحدة وتعيد ما نطقت به وتعتقد بأنها تقول شيئاً من الحقيقة، وهي لا تقول إلا ما يجعل النص يمارس سلطة داخل الحقل المعرفي والاجتماعي (ولد اباه، 1994)، وهذا الانعكاس لتلك المناهج دفع الباحث في علم التاريخ إلى التسلح بأدوات تحليلية حديثة تعيد تشكيل العلاقة بين الباحث نفسه والنص التاريخي وإعادة قراءته، من قراءة تقريرية ذات طابع سردي إلى قراءة تحليلية مركبة تدعمه في تجاوز القراءة المحكومة بالدوائر الثقافية المغلقة (نعسان، 2021)، وتُراعَى فيها البنية الدلالية للنص التاريخي والسياق الذي أنتَجَه .لقد اتسمت معظم القراءات في الأبحاث التاريخية للنصوص التراثية بالتأطير ضمن منظومات عقائدية وطائفية ومذهبية مغلقة تعيد إنتاج المعنى لتثبيت سلطة دينية تنتمي إلى عقائد طائفية أو مذهبية معينة (سليم، 2006)، ما يؤدي إلى تسييس الذاكرة التاريخية للأمة وجعل مجتمعاتها في صفوف متقابلة لا متكاملة، مع التعطيل الكامل لآليات الحوار والتفاهم وتجاوز نقاط الاختلاف على الرغم من أن النصوص المؤسسة للمعرفة والسلطة كآيات القرآن الكريم، وما ورد في كتب التاريخ حول (المباهلة، وبيعة الغدير، وصلح الحديبية، ووثيقة تنظيم مجتمع المدينة المنورة) تحتوي على إمكانيات دلالية متعددة ترمز للتفاهم والتجاوز وتدفع نحو وحدة المجتمع وتكامله ونبذ العنف لكن كتب التراث التي تهتم بالتاريخ والتفسير والتأويل غالباً ما كتبت وفق رؤى طائفية ومذهبية وتقرأ حتى اليوم من خلال ذلك وبوجهة نظر منهجية جاهزة خاضعة للتعصب والتكييف العَمْدِي لمفاهيم الفرق والملل والنحل، وهذا ما جعل من المنهج التاريخي والمنهجية التي يعتمدها يعاني من أزمة قراءة النصوص التاريخية (بريمي، 2018).

وعلى كل ما تقدم صارت الحاجة ملحة إلى إعادة بناء المنهجية التاريخية بعيداً عن التفسير العقائدي والعرقي والطائفي وذلك باعتماد مقاربات تحليلية مؤسسة على المناهج الحديثة في علوم اللغة والفلسفة مثل السيميائيات واللسانيات وتحليل الخطاب والتحليل التداولي مع مراعاة المنهج التاريخي وأبعاد الأحداث التاريخية .وللخروج من أزمة المنهج التاريخي سنحاول في هذه الدراسة تقديم مقاربات منهجية متعددة الأبعاد لتحليل النصوص التاريخية من خلال دمج ثلاثة مناهج تحليلية (التحليل السيميائي، وتحليل الخطاب، والتحليل التداولي) وسيتم اختيار نص المباهلة الوارد في القرآن الكريم بسورة (آل عمران، الآية: 61) وما جاء بشأنها من نصوص بعض المفسرين كمادة تاريخية وسيتم تناوله كنموذج للتحليل ودلالاته الرمزية والخطابية والتداولية، وضمن سياقه السياسي والديني وسنحاول بيان مدى مساهمة هذه المناهج في تحرير النصوص التاريخية من القراءات المكبلة بأفكار طائفية ومذهبية وقوالب أيديولوجية جاهزة، ومحاولة إعادة بناء ذاكرة جماعية علمية تسهم في حل مشكلة الطائفية المعاصرة والمذهبية التي تمزق فكر الأمة بدلاً من إعادة إنتاجها .وبما أن الموضوع هو الذي يفرض نوعية المنهج الأمر الذي يَحْتِمُ علينا تقسيم هذه الدراسة إلى محورين، يركز الأول على إعادة بناء المنهج التاريخي وإبراز ضرورة تغيير الخطوات المنهجية لتحليل النصوص التاريخية عندما يستطيع الباحث امتلاك أدوات تحليلية متقدمة في حين يركز المحور الثاني على دراسة نص المباهلة دراسة تطبيقية تبرز تفاعل المناهج المستعملة وأدواتها في تحليل النص وسياقه.

أولاً: إعادة بناء المنهج التاريخي

توظيف الأدوات التحليلية المعاصرة:

في ظل تطور المعرفة الإنسانية وتعدد التخصصات وتداخلها، لم يعد المنهج التاريخي وما يعتمد عليه من منهجيات وأدوات وفق الخطوات الكلاسيكية للبحث في علم التاريخ - من تحديد المشكلة التي تهدف إلى حقيقة الحدث التاريخي وصدق ناقليه من إخباريين إلى البعد الزماني والمكاني واستعمال النصوص كشواهد غير صادقة في بعض الأحيان - قادراً على تحقيق أهداف العلم وغاياته (بارط، 1993).

وإذا ما ظلت تلك المنهجية التابعة له محصورة في تلك الخطوات، لن يتجاوز وصفه سجلاً للوقائع والأحداث لا يملك إلا إخباراً عن الماضي بنصوص ميتة (بارط،1993) لذلك ينبغي عدم حصره فقط في ذلك المنهج، بل يجب دمجه بطريقة تركيبية تتطلب من الباحث إتقان الأدوات التحليلية المعاصرة، وتساعده على الغوص في بنية النصوص التاريخية وفهمها فَهْماً عميقاً وليس الاكتفاء بما ينطق به ظاهر النص.

لقد غدت النصوص التاريخية موضوعاً للتحليل، الأمر الذي يفرض استحضار أدوات تحليلية من خارج علم التاريخ الذي اعتمد في زمن طويل على آليات الإسناد وصدق ناقل الخبر الذي استمده من علم الحديث دون التعرض للخبر/ النص، بالنقد والمحاكمة (سليم، 2006) .ومن هنا علينا التفكير جِدِّياً في ضرورة الاتجاه نحو تحولات منهجية في علم التاريخ تعتمد على الأدوات التحليلية المعاصرة التي تركز على النص/ الخبر وكيفية قراءته دون إغفال ظروف كتابته والسياق الذي أنتَجَه بهدف بناء الخطوات التحليلية للنصوص التاريخية ذاتها (سليم، 2006) .وبذلك يمكن تشكيل مقاربة تحليلية مزدوجة تتناول طبيعة المنهج التاريخي ومنهجيته الحديثة وذلك بتوظيف الأدوات التحليلية المعاصرة في قراءة النصوص واستكشاف التحولات التي تطرأ على المنهجية التي يستعملها المنهج التاريخي نتيجة إدماج تلك الأدوات، ونفترض أنها ستؤدي إلى إعادة تشكيل خطوات التحليل النصي من داخل حقل التاريخ لفتح آفاق جديدة لفهم الماضي وإعادة كتابته انطلاقاً من مقاربات متعددة الأبعاد والتخصصات، وفيما يلي أبرز هذه المناهج التحليلية الحديثة وأدواتها التي ينبغي أن يتسلح بها الباحث في مجال علم التاريخ، وهي كالآتي:

1. المنهج التداولي:

يركز المنهج التداولي على العلاقة بين لغة النص التاريخي والشروط التاريخية التي أحاطت بتلك اللغة، بمعنى أن تلك اللغة قد أنتجت معاني تستند إلى نوايا المتكلمين والشروط التاريخية لزمان ومكان المتكلم وتوقعات فهم المتلقين في تلك الحقبة التاريخية، ويمكن إجمال أدوات تحليل المنهج التداولي في الآتي

أ- تصنيف الأفعال الكلامية داخل النص التاريخي:

ب- تحليل المقاصد والضمنيات لمُنْتِج النص .

ج- تفسير السياق التواصلي للنص التاريخي (هويدي والطائي، 2015).
وبما أن منهج التحليل التداولي ينتمي إلى فلسفة اللغة التحليلية وإلى نظرية أفعال الكلام خاصة، إذاً فالكلام فِعْل وليس لنقل المعاني فقط .وتُصنَّف الأفعال الكلامية (وعيد، تهديد، أمر، طلب... الخ)، هي أفعال تعكس الضمنيات والمقاصد ومبدأ التعاون في المخاطبة/ المحادثة، فالكلام فِعْل لتحقيق أثر(هويدي والطائي، 2015) وينطلق المنهج التداولي من مقولات وفرضيات نظرية تتركز على الفعل اللغوي الذي يُفهم ضمن سياقه وبنيته (الجابري، 1996)، وأحياناً ما يقال يختلف عما يُقصد، مما يدفع الباحث إلى فهم النص واستحضار نية المتكلم وقصده من قوله والظروف التاريخية التي تتفاعل من حوله (الجابري، 1996) ويمكن توظيف المنهج التداولي في علم التاريخ بفهم النصوص التاريخية وفق الشروط الزمنية والمكانية التي أنتَجَته وإدراك الإشارات الضمنية فيه وتجاوز القراءة الحرفية للنصوص نحو فهم وظيفي تداولي لها.

2. منهج تحليل الخطاب:

يستخدم منهج تحليل الخطاب في الكشف عن تشكيل المعاني داخل النصوص على مستوى المعلومات الظاهرية التي ينطق بها النص وعلى مستوى بنية اللغة والسلطة والتضمين والإقصاء ومن حيث المسكوت عنه في النص (الجابري، 1992)، ويمكن إجمال أدواته التحليلية في الآتي:

أ- تحليل الضمائر وبناء الهوية .

ب- استراتيجية التمثيل الخطابي .

ج- تحليل العلاقات بين النص والسياق التاريخي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي (فوكو، د.ت.).

فاللغة في النص التاريخي ليست وسيلة تواصلية بل هي أداة لإنتاج السلطة والمعرفة ومن هنا ينطلق منهج تحليل الخطاب من مقولات نظرية هي بمثابة فرضيات مثل (اللغة تبني الهويات الجماعية: نحن/الآخر) والخطاب داخل النص التاريخي يُقْصِي ويُبعد ويُهمّش وهو أيضاً يُقَرّب ويضم المجموعات والأفراد وفق مصالح السلطة ولذلك يُعد النص التاريخي ممارسة سلطوية بامتياز (نعسان، 2021) .ويمكن توظيف منهج تحليل الخطاب في علم التاريخ بدراسة الخطاب السياسي والاقتصادي والاجتماعي في النص التاريخي في زمن كتابة النص بالذات لاستنتاج ما يقصده كاتب النص لمعرفة وتحليل ما تنتجه النخب السلطوية من مواقف تجاه الفئات الاجتماعية أو العرقية أو العقائدية أو الفئوية (التجار، والحرفيين... الخ)، والكشف عن الأيديولوجيات الكامنة في لغة النص التاريخي مثل ذلك(هَيَّأ مقتل المتوكل جَحيماً من الفوضى والاضطرابات الشديدة للخلافة أُقْتُرِفَت فيها الترك أنواعاً من الفظائع وانحطّت هيبة الخلافة إلى الحضيض) (الدوري، 2007)، هذا النص يكشف عن تَغَيُّر عميق بِنَبْرَة الخطاب نتيجة تصاعد نزعة الفوضى وتغلب الأتراك على الدولة العباسية وفتح باب التمزق وضياع هيبة الخلفاء.

3. المنهج السيميائي:

يركز المنهج السيميائي على دراسة العلامات والرموز في النصوص التاريخية وينتمي المنهج السيميائي إلى البنيوية التي تعتبر اللغة نظاماً من العلاقات حيث تتحدد المعاني من خلال تفاعل العلامات داخل النص فالمعنى لا ينتج من الواقع بل من الاختلاف والتباين داخل نَسَق النص التاريخي ويمكن معرفة أدوات التحليل السيميائي في الآتي (بنكراد، 2012):

أ- تحليل الثنائيات (الحق/ الباطل، الصدق/ الكذب، المقدس/ المدنس... الخ).

ب- تفكيك الرموز من خلال الكشف عن العلاقات التفاعلية بين الدال (العلامة) والمدلول (المعنى) وهي علاقة ثقافية (اعتباطية) لكنها منضبطة بالنظام الثقافي الاجتماعي (بنكراد، 2012).

وينطلق التحليل السيميائي من فرضيات نظرية أساسية مفادها بأن المعنى في النصوص التاريخية ليس ثابتاً بل يتم توليده من داخل بنية النص من خلال قارئه لأن رموز النص تحمل مضامين ثقافية وشروطاً تاريخية ولذلك فإن التحليل السيميائي يهتم ببناء المعنى لدى القارئ وليس بالمعنى نفسه (إيكو، 2004) .ويمكن توظيفه في علم التاريخ عن طريق تحليل الشعارات والمفاهيم والمصطلحات داخل النص التاريخي والكشف عن مدلولات السلطة والعقيدة والقومية... الخ، مما تحتويه الأدبيات التاريخية.

إعادة تنظيم خطوات التحليل للنصوص التاريخية:

تأسيساً على ما تقدم يمكن للباحث في علم التاريخ تغيير الخطوات المنهجية في تحليل النصوص التاريخية وإعادة ضبط وتنظيم دراسته وذلك من خلال إعادة بناء الإشكالية بَدَلاً من إعادة طرح المشكلة (صبحي،

1989)، ففي إطار المنهج التقليدي تُطرح المشكلة في الدراسات التاريخية على هيئة سؤال يركز على الحدث أو الواقعة في محاولة لإثبات حقيقة ما وذلك من خلال استدعاء الشواهد لإثبات تلك الحقيقة المفترضة ويكون السؤال المحوري في الدراسة التي تعتمد على المنهجية التقليدية هو (لماذا حدث الحدث؟ وما أثر ذلك الحدث على السياق التاريخي؟) (صبحي، 1989). ولكن عندما يتحول النص التاريخي إلى بنية خطابية تحمل دلالات ومعاني ومقاصد وأفعال لغوية ضمن سياق الحدث التاريخي فإن طرح المشكلة ينبغي أن يراعي تلك الدلالات والمقاصد والأفعال اللغوية وبذلك يتحول السؤال من ("ماذا حدث؟") إلى ")كيف تم تصور وتَمَثُّل ما حدث؟ ولماذا تَمَّت كتابته في المصادر بهذه الكيفية؟") وهكذا تُبنَى الإشكالية ليس فقط حول تفسير الحدث التاريخي كما نطق به النص بل أيضاً -وهذا هو المهم- تحليل دلالاته وتصورات كاتبه ولماذا كتبه بهذا التصور؟ وَلِأَيِّ جمهور كتب؟ وبأي أدوات لغوية وسيميائية صِيغَ؟ ولذلك تتحول الأسئلة البحثية والفرضيات من السببية حيث كانت تُطرح الأسئلة البحثية في الدراسات التاريخية على التسلسل السببي إلى البنائية بحيث يُعاد بناء الأسئلة الإشكالية حول آليات تصور ناقل النص وتَمَثُّلاته، وبناء المعنى والرموز والدلالات المستخدمة في النص التاريخي والتعابير التي استخدمها الكاتب تجاه السلطة وتفكيك العلاقة بين اللغة والظروف التاريخية وسياق الحدث سواء كان حدثاً اجتماعياً اقتصادياً أو سياسياً (نعسان، 2021؛ فوكو، د.ت.).

وتأسيساً على ما تقدم فإن صياغة الفرضيات في الدراسات التاريخية ينبغي ألا تنحصر فقط في إبراز العلاقة بين المتغيرات بل تشمل أيضاً تفكيك البنية اللغوية للنص التاريخي ودراسته لمعرفة إن كان يخفي معاني ودلالات تكمل النص وتتلافى قصور النقص فيه، تلك المعاني المسكوت عنها باتباع استراتيجيات خطابية ما إن يتم الكشف عنها تنتج سلطة رمزية توجه فهم المتلقي وتُعيد بناء قناعاته، وعليه قياس المتغيرات من خلال المؤشرات السيميائية والخطابية والتداولية بدلاً من قياسها وفق التكرار الكمي في النصوص التاريخية أو كمية القرائن المادية (انغليز وهيوسون، 2013). إذن علينا تنظيم أولوياتنا في صياغة الفرضيات وقياس المتغيرات في الدراسات التاريخية، فإذا كان المنهج التقليدي قد ارتبط بالسببية ارتباطاً وثيقاً عبر زمن طويل وكانت متغيراته السبب والنتيجة وقياسها محصوراً في التكرار الكمي، فَيَتَحَتَّمُ علينا الآن تقديم قياس المتغيرات من خلال طريقة التصور اللغوي (الضمائر والأفعال وأنماط الخطاب) وعند استعمال التحليل السيميائي فَتُقَاس المتغيرات عن طريق (الرموز والإشارات والتصورات الذهنية) (انغليز وهيوسون، 2013)، وأما في التحليل التداولي فَيَتِمُّ عن طريق الأفعال الكلامية (الأمر، الطلب، الاستفهام، التهديد، الوعيد... الخ) وَأَثَرُ السياق في توجيه المعنى (بغورة، 2009). ومع الأدوات الحديثة في تحليل النصوص وصياغة الفرضيات وبناء الإشكاليات يتحول المتغير من عامل خارجي إلى بنية داخل النص نفسه وتتحول الكلمات فيه مثل (الهوية، والأمة، والجماعة، والسلطة... الخ) إلى تصورات خطابية وسيميائية تنتهجها اللغة إلى جانب كونها حقائق اجتماعية ويتم تحديد المتغير من خلال تحليل النص بنيوياً دون الاقتصار على سياقه التاريخي، وهنا تكمن أهمية وأهداف المناهج التحليلية المتقدمة بحيث لم يعد الهدف يكمن في شرح الحدث كما نطق به النص والكشف عن أسبابه بل يكمن في تفكيك النص لفهم بنية الحقيقة التاريخية ونقد التصورات السائدة حول الأحداث التاريخية والكشف عن العقائد والأيديولوجيات الكامنة في تصورات الماضي، وفتح آفاق جديدة لقراءة النصوص التاريخية لا لتكرار السرديات الراسخة في كتب التراث بل لمساءلتها (ولد اباه، 1994؛ نعسان، 2021؛ بغورة، 2005).

عَوْداً على بدء يمكننا إعادة القول إن امتلاك الباحث في حقل التاريخ لأدوات تحليلية يفضي إلى تحول جذري في الخطوات المنهجية التاريخية من حيث مضمون الخطوات ووظائفها وسياقها وحركتها وتصبح المنهجية التاريخية الحديثة عملية تحليلية تركيبية قائمة على مساءلة النصوص وتفكيكها وتحليل مكوناتها الداخلية في دائرة السياق والنص والمعنى وهذا التحول لا يلغي أهمية الخطوات المنهجية الكلاسيكية بل يُعيد تكوينها في أفق معرفي جديد يجعل من الباحث التاريخي قارئاً متعدد الطبقات للنصوص التاريخية ليس مجرد جامع للوقائع وتصنيفها في أوراق محبرة.

ثانياً: دراسة تطبيقية لنص المباهلة

المناهج الحديثة والنصوص التأسيسية (رؤية نظرية):

مثَّلت النصوص التأسيسية للمعرفة والسلطة في التراث العربي الإسلامي ركيزة لبناء أنظمة العقيدة والهوية والانتماء غير أنها لم تُقرأ قراءة محايدة أو موضوعية بل خضعت على مر حقب التاريخ المتعاقبة لتأويلات متعددة انطلقت من سياقات ثقافية (طائفية ومذهبية وقومية) مختلفة، وبمناهج معرفية متباينة.

ويُعد نص المباهلة من النصوص التي شكلت مادة تاريخية خصبة للتأويل الطائفي والتنافس الرمزي لامتلاك شرعية ممارسة السلطة والمعرفة (الطبرسي، 1988)، بحيث تراوحت قراءته بين الفهم التاريخي الظرفي والتأويل الرمزي الطائفي لاسيما في السياق التاريخي للصراع الطائفي والمذهبي بين (الطائفتين من المسلمين السنة والشيعة) (الطبرسي، 1988).

وانطلاقاً من الحاجة إلى تجاوز القراءات التفسيرية التقليدية للنص التاريخي التي غالباً ما تُعيد إنتاج المعنى في دائرة الانتماء الطائفي والمذهبي أو الإطار العقائدي بشكل عام (محمد، د.ت.)، تسعى هذه الدراسة إلى إعادة بناء المنهجية التاريخية لقراءة النصوص التأسيسية للمعرفة، والتي وُظِّفَت فيما سبق لامتلاك شرعية السلطة الطائفية، إلى إعادة القراءة لتلك النصوص عبر توظيف أدوات تحليلية حديثة تستند إلى ثلاثة مناهج تحليلية كنا قد تناولناها بالشرح فيما تقدم، بوصفها مقاربات تكشف عن طابع النص وتتيح فَهْماً أعمق للمعنى وسيرورة إنتاجه عبر الزمن.

ولا يتم توظيف تلك المناهج في هذه الدراسة لاستهداف النص المؤسس للتأويل فقط، وإنما أيضاً لفتح مجال رحب لفهم تحول ذلك النص إلى وعاء للتأويل الطائفي والمذهبي، وكل ما تنتجه الذاكرة الجماعية والسلطة الرمزية من دلالات جديدة وفق الظروف التاريخية والثقافية المختلفة (الجابري، 2006)، لأنها تنطلق من قراءة النصوص بالاعتماد على أدوات تحليلية متعددة ومساءلة المفاهيم المركزية مثل (الطائفة، التأويل، التداولية، السيميائية، الخطاب، الذاكرة الجماعية... الخ) بوصفها متغيرات فاعلة في تشكيل المعنى وليس كونها مفاتيح تفسيرية وحسب.

وتنطلق الإشكالية هنا من تساؤل مركزي حول قراءة وتلقي النصوص التأسيسية داخل الدوائر المعرفية للطوائف المختلفة وتأثير مناهج القراءة وآليات التأويل على تشكيل المعنى (الجابري، 2006)، فالسؤال الإشكالي لا يتعلق بما نطق به النص فحسب وإنما أيضاً بالكيفية التي أنتجت معناه التفسيري والتأويلي، وما آل إليه ذلك التأويل من نتائج، وفي أي سياق تم طرحه، وعليه يمكن إعادة بناء المنهجية التاريخية لقراءة تلك النصوص التأويلية/ التفسيرية لبعض المؤرخين (الطبرسي، 1988)، بحيث تكشف عن البنية الخطابية والدلالية والتداولية للنص مع مراعاة دور المتغيرات الثقافية والاجتماعية في إعادة إنتاج وتأويل النص بمرور الزمن وتغير الأحوال.

المناهج الحديثة ونص المباهلة (رؤية تطبيقية):

يُعد نص المباهلة واحدة من النصوص المؤسسة للمعرفة والسلطة التي جاءت في سياق تاريخي وزمني محدد كان له الأثر في امتزاج البعد الديني بالبعد السياسي والاجتماعي مما فتح المجال أمام التأويلات الطائفية والمذهبية فيما بعد. ويرتبط هذا النص بالحوار الذي دار بين (النبي صلى الله عليه وسلم) ووفد (نصارى نجران) الذين قدموا للمدينة المنورة لملاقاة النبي ومناقشته حول وضعهم العقائدي (عجيبة، 2004)، وموقفهم من عقيدة التوحيد والنبوءة. وتشير المصادر التاريخية إلى أن قرية نجران كانت مركزاً نصرانياً مُهِماً (عجيبة، 2004)، ولعل حوار النبي مع وفدها يمثل لحظة مفصلية تأسيسية مبكرة للتفاهم واستعمال الدبلوماسية في الخلاف العقائدي والصراع بين المؤمنين والنصارى. وقد استخدم النبي (النبي صلى الله عليه وسلم) سلاح المباهلة والذي يعني ("الدعاء على الكاذب") كأداة تفاوضية لغوية وروحية تحسم الموقف وتظهر النصر لمن له الحق في هذه المنازلة العقائدية (وات، د.ت.). وفي دائرة هذا السياق يمكن قراءته باعتباره وحياً إلهياً وبوصفه حدثاً تداولياً يحمل دلالات سياسية واجتماعية ويعبر بوضوح عن طبيعة العلاقة بين المؤمنين والنصارى في تلك المرحلة المبكرة للدعوة المحمدية. ولعل فهم هذا السياق التاريخي يُعد أساساً لفهم حمولة النص من رموز وإشارات دالة يتم توظيفها من قبل المفسرين والمؤرخين

كسلاح في ميدان الصراعات الطائفية التي أرهقت التاريخ الإسلامي وامتدت عبر زمنه الطويل من خلال الأجيال المتلاحقة وبشكل تداولي (وات، د.ت.).
وبما أن النص القرآني يحمل نظاماً معقداً من العلامات والدلالات التي تتفاعل فيما بينها لإنتاج المعنى، لذا فإن التحليل السيميائي يُعد أداة أساسية لفهم نص المباهلة إذ تظهر مجموعة من الرموز المركزية التي تحمل دلالات متعددة تتجاوز ما نطق به النص إلى مستويات أشمل وأعمق من المعنى.
وتبدأ الرمزية في نص المباهلة بوصف الشخوص التي تُستَدعَى للمباهلة ("أبنائنا ونسائنا وأنفسنا") بحيث تم استخدام هذا التوصيف لتشكيل شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تهدف إلى إبراز وحدة المجتمع وتماسكه ("الجماعة المؤمنة") وَتُوضَعُ في مواجهة الآخر المختلف (وفد نجران) وتمثل هذه الرموز عناصر أساسية في بناء الهوية الجماعية (الجابري، 2006)، ولا يمكن تأويل النص رمزياً بأن الاستدعاء للابتهال قد تم توجيهه لآل البيت باعتبارهم الأهل الأقربون (الطبرسي، 1988)، وذلك لأن الدين الذي بُعث به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) للناس كافة وإن كانت بداية الدعوة قد انطلقت من الأهل الأقربون، ثم إن الابتهال تختص به الديانتان ("الإسلام والنصرانية") إذاً فالمواجهة الابتهالية تكون بين جماعتين (المؤمنين كافة والنصارى كافة) وإن مثلتهما مجموعتان صغيرتان (النبي وأهله، ووفد نجران).
ويمكن النظر إلى فعل ("نَبْتَهِل") كعلامة سيميائية ذات دلالة لاستدعاء التأييد الإلهي باللجوء إلى الدعاء كوسيلة لإثبات الحق، وهو ما حول هذا الحدث التاريخي إلى طقس ديني يحمل قوة رمزية تجاوزت حدود الحدث في سياقه التاريخي وصار الدعاء وسيلة روحية لتعزيز الحق، ويمنح صاحب الدعاء طمأنينة وقوة داخلية للاستمرار في الدفاع عما يعتقد بأنه حقه، وإن كان لا يمكن أن يعتمد على الدعاء وحده لإثبات الحق لأنه يحتاج أيضاً إلى أدلة وبراهين وحجج تثبته (محمد، د.ت.)، وإن كان هنا في هذا السياق قد استعمل الدعاء إلى الله وسيلة لإظهار من هو على حق، لأن الاتصال قائم بين السماء والأرض، وهذه الإشارة (الابتهال) تحاول إثبات أن القوة لا تكمن في الأدلة المادية والبراهين العقلية وحدها وإنما أيضاً في استدعاء البعد الروحي بالدعاء والابتهال وهو ما يضفي على النص غطاءً رمزياً يشير إلى أن الدعاء أقوى من أي حجة يمكن استعمالها (ابن كثير، 1417هـ)، ولهذا نجد في التراث الإسلامي والثقافة التي رسمها بأن الدعاء من أهم الوسائل التي تظهر الحق وتؤيده في ثقافة المؤمنين التي تراكمت عبر الزمن التاريخي، فالدعاء وحده – وفقاً لذات الثقافة – كفيل بكشف الحقيقة عبر استجابة الله التي غير قابلة للشك.
ويفصح النص عن علاقات متداخلة ومتوازية بين العلاقات المميزة التي تكشف عن بنيته التي تحمل أبعاداً دلالية متعددة تجعل من حدث المباهلة ظاهرة سيميائية يتم من خلالها بناء وإعادة إنتاج الهوية الدينية والسياسية في آن واحد. ومن هذا المنطلق يتاح لنا قراءة النص بكونه حقل معانٍ مفتوح يتجاوز ما نطق به النص لنتمكن من تفكيك الرموز وَنَكْشِفَ التوترات الداخلية بين الذات (المؤمن) والآخر (النصراني) وبين (التاريخ) و(الهوية) (فوكو وآخرون، 2009).
وبوصف نص المباهلة خطاباً يملك وظيفة إنتاجية تتجاوز نقل المعلومات وتتشكل في صلبه علامات تشير إلى الهوية داخل السياق الاجتماعي والديني وتساعد على تأويل شرعية السلطة وتفتح الباب للتنازع حول السلطة وفق آليات التأويل الطائفي. وإن كانت آليات الخطاب في هذا النص ومن خلال طريقة العرض والتوجيه التي تحكم علاقة المتكلم (النبي صلى الله عليه وسلم) بالمخاطبين (وفد نجران النصارى، والمؤمنين معاً) تتجلى في استخدام الخطاب صيغة النداء المباشر ("فَمَنْ حَاجَّكَ فِي ذلك من بعد ما جاءك به من عِلْمٍ") (آل عمران: 61)، وبكل وضوح طابع الحسم على مستوى الهوية والمعرفة والسلطة مؤكداً على وحدة المجتمع الإسلامي من جهة وانطلاق المتكلم للمعرفة الإلهية المطلقة وإبراز مركزيته كسلطة روحية وسياسية من جهة أخرى. ويشير الخطاب إلى فاعلية المباهلة/ الدعاء كأداة لحسم النزاع واختبار صدق الطرفين الأمر الذي يعكس وظيفة الخطاب في إنتاج سلطة معرفية وبُعداً عقائدياً وقد استندت عليه الطوائف الإسلامية فيما بعد لتأسيس شرعية السلطة السياسية في حواراتها ومناكفاتها (ابن تيمية، 1406هـ).
ولعل اختيار المتكلم (النبي صلى الله عليه وسلم) لجماعته المؤمنة برسالته أو لأفراد أسرته ("الأبناء والنساء والأنفس") كطرف للمباهلة يعزز من بناء خطاب الهوية الجماعية ويرسخها داخل النص حيث يتحول الخطاب إلى أداة لتكريس وحدة الجماعة المؤمنة من جهة، ومكانة أهل البيت في وعي تلك الجماعة من

جهة أخرى. وكلا الوجهتين متكاملتين وليستا متضادتين كما سيحاول منظرو الفرق والطوائف طرحها كسردية طائفية تحاول الهيمنة فيما بعد (ابن تيمية، 1406هـ؛ الطبرسي، 1988).
وقد يستند الخطاب في نص المباهلة إلى آليات إقناع تتخذ تارة شكل تهديد ضمني ينطوي على دعاء عقابي للطرف المخالف مما يضيف بُعداً قيمياً وأخلاقياً للنص ويعزز من هيمنة المتكلم داخل دائرة الخطاب الديني والسياسي وتارة أخرى هو نوع من التفاوض السياسي الذي يتسم بالندية (لامنس، 1937) وفقاً للنظرية الواقعية السياسية (مور، 1964)، وبهذا لا يُعتبر نص المباهلة نصاً دينياً وحسب بل هو خطاب ذو بنية إنتاجية تفاعلية تحدد علامات القوة والهوية بين الأطراف وتُعيد إنتاج المعنى ضمن إطار تداولي متغير.
ومن تحليل الخطاب إلى التحليل التداولي الذي ينتج فَهْماً خاصاً لنص المباهلة وذلك من خلال دراسة الأفعال الكلامية والسياقات الاجتماعية التي أنتجَت ذلك الخطاب وإعادة تشكيل معانيه. فالمباهلة ليست مجرد نص مكتوب بل حدث لغوي يتضمن تفاعلات اجتماعية تبرز مواقف المتكلم والمخاطَب مَعَاً ويحدد طبيعة العلاقة بينهما. ففي النص يتجسد الفعل التداولي ("نَبْتَهِلْ") أي ندعو الله بالحق لتحل لعنته على الكاذب وهو فعل لغوي يحمل وظيفة دعائية وتفاوضية تسعى لحسم النزاع من خلال استدعاء البعد الإلهي المُتَوَسِّط في الجدل. وهذا الفعل يظهر حالة من التوتر بين الطرفين حيث يكون الخطاب وسيلة لتحقيق أهداف دينية واجتماعية وسياسية لتثبيت مكانة الذات المحقة والمدعومة بقوة روحية مستمدة من (الله) الذي سيحل اللعنة على من جانبه الصواب (آل عمران: 61). ويُبرز التحليل التداولي كيف جاء النص القرآني: جامعاً للمؤمنين كحلفاء متماسكين في جماعة واحدة في هذا الموقف، ما يعكس استراتيجية لغوية لتعزيز الشرعية الجماعية والربط بين الخطاب الديني والجماعة المؤمنة بهدف إنتاج جبهة متماسكة قادرة على مواجهة المخاطر الخارجية. إضافة إلى ذلك فإن السياق التداولي يشير إلى أن المباهلة لحظة تاريخية تفاعلية استجابت للظروف الاجتماعية والسياسية المحيطة وجاء النص القرآني داعماً لتلك اللحظة وتجاوزها ليكون نصاً غير مغلق، وغير جامد، بل متحركاً وفقاً للتحولات الاجتماعية والسياسية اللاحقة بكل ظروفها وقد أثبتت التجربة التاريخية بأن النص كان دائماً الحضور في الذاكرة الطائفية (ابن كثير، 1417هـ؛ ابن تيمية، 1406هـ؛ الطبرسي، 1988)، وَيُستَدعى لتثبيت شرعية طائفة وسحبها من طائفة أخرى وإن كان النص يدعم وحدة المجتمع وعقلنته وليس لتَشَظِّيه وتفرقته إلى طوائف. ومن هذا المنطلق فإن التحليل التداولي يكشف عن البعد العملي للنص بحيث يتحول إلى فعل لغوي يُمارَس في فضاءات اجتماعية ودينية معينة تترابط فيها اللغة مع السلطة والدين والممارسة، وتنتج معاني متغيرة تتجاوز المفهوم النصي المغلق أو الجامد.

ثالثاً مقارنة تأويلية:
سنتناول في هذه النقطة مقارنة تأويلية بين اثنين من مؤرخي ومفسري الإسلام وهما: (الطبري، د.ت.) و(الطبرسي، د.ت.) لنبين اختلاف قراءتهما التفسيرية لنص المباهلة لكونهما ينتميان إلى طائفتين من المؤمنين مختلفتين في الأيديولوجيا إذ يُعد الطبري من رواد التفسير التاريخي واللغوي بالطائفة السنية، فهو يميل إلى نقل الروايات وتقديم أسباب النزول مع الحفاظ على الموضوعية إلى حد كبير، أما الطبرسي فهو من كبار المفسرين الإمامية من الطائفة الشيعية ويركز على تفسير النصوص بما يدعم شرعية السلطة لآل البيت والعلويين من أبناء فاطمة الزهراء خاصة مع توظيف رموز ودلالات ترتبط بالأسرة النبوية ("أبناء فاطمة") بشكل خاص.
وتبرز هذه المقارنة الفوارق في توظيف المتغيرات التاريخية والسيميائية والبلاغية وتكشف عن انطلاق كل تفسير من خلفية طائفية تؤثر في إنتاج المعنى مما يعكس الدور المحوري للتأويل في تشكيل الذاكرة الجماعية وصياغة الخطاب الطائفي (ابن تيمية، 1406هـ).
أ- تأويل الطبري لنص المباهلة:
في تفسير الطبري يعطي نص المباهلة مكانة بارزة في سياق نزول الآيات مع التركيز على وصف الموقف التاريخي للحوار بين النبي (صلى الله عليه وسلم) ووفد نجران إذ يعتمد الطبري على جمع الأحاديث والروايات مع تفسير لغوي لبعض المفردات لكنه يحافظ على نبرة توضيحية بعيدة عن التوظيفات الطائفية الصريحة. وينظر الطبري إلى المباهلة كوسيلة شرعية لإثبات الحق إلى جانب النبي (صلى الله عليه وسلم)

في هذه المنازعة ويرى أن الدعاء على الطرف الآخر هو اختبار لإظهار الصدق في دعوة الإيمان. ومع ذلك فإنه لا يتعمق في التأويل الرمزي خارج النص القرآني فهو لم يتعرض لمن تم استدعاؤهم في المباهلة على مستوى الفعل وإنما اقتصر على ما ورد في النص دون توسع وإغراق في التأويل الدلالي (الطبري، د.ت.).

ب- تأويل الطبرسي:

يقدم الطبرسي في تفسيره ("مجمع البيان") (الطبرسي، 1988) قراءة تأويلية رمزية تتجاوز السياق التاريخي إلى أبعاد طائفية عميقة حيث دور آل البيت كأفراد حاملين للقدسية والبراءة ويفسر اختيار (النبي صلى الله عليه وسلم) لأفراد أسرته (علي وفاطمة والحسن والحسين) ليس مجرد حادث تاريخي عرضي بل دليل على أولوية أهل البيت في التصديق والبراءة وإبراز العلاقة بين النص ومفاهيم الإمامة، ويعطي للمباهلة دلالة خاصة في تثبيت شرعية أهل البيت الأقربون في السلطة والمعرفة والقيادة (الإمامة) مما يعكس رؤيته الطائفية التي من خلالها يحاول إعادة إنتاج النص بوصفه نصاً تأسيسياً لهوية السلطة على الرغم من أن النص لا يقول ذلك لكن الطبرسي ركز على الجوانب التداولية في النصوص الواردة في السيرة والتاريخ أكثر من تركيزه على النص القرآني بل إنه حاول تفسير الآية من خلال الفعل التاريخي واعتبر المباهلة طَقْساً له أبعاده الروحية والعقائدية التي تعزز وحدة الجماعة الموالية لأهل البيت في مواجهة خصومهم.

ج- مقارنة تحليلية:

توضح المقارنة بين تأويل الطبري والطبرسي مدى تأثير الخلفيات العقائدية الطائفية في قراءة النصوص التأسيسية حيث يميل الطبري إلى التفسير التاريخي المحايد (الطبري، د.ت.)، وبشكل أقل حدة من حيث الرؤية الطائفية بل لعل تفسيراته تخلو تماماً من التعصب والتكييف الطائفي في حين يتجه الطبرسي إلى التفسير الرمزي والتأويل الذي يعزز رؤية المذهب الإمامي للطائفة الشيعية بشكل متعصب لا يهدف إلى وحدة الجماعة المؤمنة إلا إذا كانت من ضمن طائفته (الطبرسي، 1988)، الأمر الذي دفع بعض المفسرين (ابن تيمية، 1406هـ) من الطائفة السنية إلى تفسير النص بطريقة أكثر تطرفاً كردة فعل على تفسير الطبرسي. وهذا التباين يبرز أهمية المتغيرات السيميائية والتداولية والذاكرة الجماعية في فهم النصوص الدينية والتاريخية وهذا ما يؤكد أن النصوص ليست جامدة بل متحركة ضمن شبكة علاقات معرفية وسياسية وهذا ما يدعم فكرة أن القراءة المنهجية للنصوص التاريخية يجب أن تأخذ في الحسبان تعدد القراءات وتباين التأويلات وهو ما يدفع الباحث في علم التاريخ إلى إعادة بناء المنهج التاريخي والتأويل للنصوص التاريخية برؤية شمولية ومنهجية ديناميكية.

الخاتمة:

يُعد استعراض وتحليل نص المباهلة من خلال المناهج الثلاثة: المنهج السيميائي، ومنهج تحليل الخطاب، ومنهج التحليل التداولي، مُتَّضِحاً أن نص المباهلة ليس مجرد نص ديني ثابت يتصف بالجمود بل هو ظاهرة تاريخية متعددة الأبعاد ولا تحكمها عوامل تاريخية أو لغوية أو اجتماعية أو عقائدية وإن كانت النصوص التاريخية تحاول إحكام قبضتها على النص القرآني وتجعل منه خاضعاً للظروف التاريخية وشروطها. فلقد دأب المفسرون والمؤرخون على تفسير النص القرآني الذي يتصف بالعمومية والتجريد والدوام وفق النصوص التاريخية التي تصف الحوادث المحدودة والمحكومة بالعوامل التاريخية واللغوية والاجتماعية وفي سبيل ذلك جعلوا من الظروف التاريخية شرطاً لفهم النص القرآني اعتقاداً منهم بأن ما ينطبق على فهم النص التاريخي من حيث معرفة خلفيات كتابة النص والظروف السياسية والاجتماعية التي كتب فيها النص التاريخي والتي تساعد في كشف أبعاده الحقيقية قد ينطبق على النص القرآني. وهذا لا يمكن استقامته لأن النص القرآني هو نص إلهي لا يخضع للشروط التاريخية وخاصة الزمان والمكان لأن النص القرآني يتجاوز تلك الشروط. وباستخدام المنهج السيميائي للنص المؤسس (القرآني) ساهم في تفكيك الرموز داخل النص مثل تحديد هوية الجماعة المؤمنة وأفعال الكلام كعلامات دلالية تُؤسِّس لهوية دينية محددة. ويَكشف تحليل الخطاب عن آليات سلطة المعرفة التي تم حصرها عند النبي دون غيره ولغة الإقناع التي يمارسها النص والكيفية التي يتم بها تشكيل الخطاب في إطار علاقات القوة داخل المجتمع الإسلامي المبكر ويؤكد

التحليل التداولي على الطابع التفاعلي للنص الذي ينتج معاني ضمن السياق الاجتماعي ويتغير بتغير السياقات مما يبرز الطبيعة الديناميكية للنص. وقد أظهرت المقارنة بين التأويلات التراثية لنص المباهلة اعتمادها على النصوص التاريخية والأفعال الإنسانية في محاولة لإعادة بناء النص القرآني وفق التأويلات والرؤى الطائفية. نخلص مما سبق إلى ضرورة تطوير الدراسات التاريخية وذلك باستخدام عدة مناهج لدراسة النصوص كالمنهج السيميائي والتداولي وتحليل الخطاب وغيرها ودمجها جميعاً مع المنهج التاريخي لتوفير قراءات أكثر شمولية وعُمقاً والتركيز على تعددية القراءات. ذلك أن الاعتراف بتعددية القراءات والتأويلات نَمَطٌ طبيعي في الدراسات النصية والتي يُعد علم التاريخ أهمها وهذا يدفع إلى نقد أكثر توازناً وموضوعية بعيداً عن الأحادية التأويلية والتأكيد على أن التأويل لا يتم بمعزل عن السياقات العقائدية والطائفية والمذهبية والاجتماعية والسياسية. أخيراً تفتح هذه الدراسة آفاقاً جديدة للبحث التاريخي في النصوص التي كانت تُستَدعى كشواهد فقط في البحث وذلك بتوظيف مناهج متعددة ومتداخلة لأجل قراءة للنصوص التاريخية تتسم بالعمق وتكشف المسكوت عنه في تلك النصوص.

المراجع

القرآن الكريم.

1. ابن تيمية، أبي العباس أحمد بن عبد الحليم الحمراني (1460هـ) .(منهاج السنة) (ج. 5). (محمود رشاد سالم، تحقيق؛ ط. 1). مؤسسة قرطبة.
2. ابن كثير، الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي) .(1417هـ) .(البداية والنهاية (ج. 1). (عبد الله بن عبد المحسن، تحقيق؛ ط. 1). دار هجر للطباعة والنشر. الجيزة.
3. أبو زيد، نصر حامد .(1996) .مفهوم النص دراسة في علوم القرآن (ط. 3). المركز الثقافي العربي. بيروت.
4. أبو زيد، نصر حامد .(2000) .النص والسلطة والحقيقة، إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة (ط. 4). المركز الثقافي العربي. بيروت.
5. إيكو، امبرتو .(2004) .التأويل بين السيميائيات والتفكيكية .(سعيد بنكراد، ترجمة؛ ط. 2). المركز الثقافي العربي. بيروت.
6. انغليز، ديفيد، وهيوسون، جون .(2013) .مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة .(لما نصير، ترجمة؛ ط. 1). المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. بيروت.
7. بارط، رولان .(1993) .درس السيميولوجيا .(ع. بنعيد العالي، ترجمة؛ ط. 3). دار توبقال للنشر. الدار البيضاء.
8. بغورة، الزواوي .(2005) .الفلسفة واللغة (نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة) (ط. 1). دار الطليعة. بيروت.
9. بغورة، الزواوي .(2009) .ما بعد الحداثة والتنوير (موقف الأنطولوجيا التاريخية دراسة نقدية) (ط. 1). دار الطليعة. بيروت.
10. بريمي، عبد الله .(2018) .السيميائيات الثقافية، مفاهيمها وآليات اشتغالها، المدخل إلى نظرية يوري لوثمان السيميائية (ط. 1). دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع. عمان، الأردن.
11. بنكراد، سعيد .(2012) .السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها (ط. 3). دار الحوار للنشر والتوزيع. سوريا-اللاذقية.
12. بدوي، عبد الرحمن .(2009) .مناهج البحث العلمي .دار النهضة المصرية. القاهرة.
13. الجابري، محمد عابد .(1992) .الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية (ط. 4). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
14. الجابري، محمد عابد .(1996) .بنية العقل العربي، دراسة تحليلية نقدية لنظام المعرفة في الثقافة العربية (ط. 5). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
15. الجابري، محمد عابد .(2006) .تكوين العقل العربي (ط. 9). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.

16. الجابري، محمد عابد .(2006) .مدخل إلى القرآن الكريم الجزء الأول في التعريف بالقرآن (ط. 1). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
17. الدوري، عبد العزيز .(2007) .دراسات في العصور العباسية المتأخرة (ط. 1). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
18. الربيعي، إسماعيل نوري .(2000) .مفهوم التاريخ عند العرب (ط. 1). منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية الجماهيرية.
19. سليم، رضوان .(2006) .نظام الزمن العربي دراسة في التاريخيات العربية- الإسلامية (ط. 1). مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
20. صبحي، أحمد محمود .(1989) .في فلسفة التاريخ (ط. 2). منشورات جامعة قاريونس. بنغازي.
21. الطائي، نعمة دهش، وهويدي، خالد خليل .(2015) .محاضرات في اللسانيات، سلسلة محاضرات على وفق مقررات اللسانيات في الجامعات العراقية .مكتبة نور الحسن للطباعة. بغداد.
22. الطبرسي، الفضل بن الحسن .(1988) .مجمع البيان في تفسير القرآن (ج. 2). دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت.
23. الطبري، محمد بن جرير(د.ت) تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ج. 1). (عبد الله عبد المحسن التركي، تحقيق؛ ط. 1). دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان. القاهرة.
24. عجيبة، أحمد علي .(2004) .نصارى نجران بين المجادلة والمباهلة (ط. 1). دار الآفاق العربية. القاهرة.
25. عنتاو، هانس مور .(1964) .السياسة بين الأمم، الصراع من أجل السلطان والسلام (ج. 2). (خيري حماد، ترجمة). الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة.
26. فوكو، ميشيل .(د.ت) نظام الخطاب .(محمد سبيلا، ترجمة). دار التنوير. بيروت.
27. فوكو، ميشيل وآخرون .(2009) .التحليل الثقافي .(فاروق أحمد مصطفى وآخرون، ترجمة؛ أحمد أبو زيد، مراجعة وتقديم). مكتبة الأسرة، سلسلة العلوم الاجتماعية. القاهرة.
28. لامنس، الأب هنري .(1937، أبريل). مجلة الشرق.
29. محمد، يحيى .(د.ت) القطيعة بين المثقف والفقيه .دار الانتشار العربي.
30. نعسان، عبد الرحمن .(2021) .تحليل الخطاب بين ميشيل فوكو وإدوارد سعيد .مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، .(146)
31. وات، مونتجري (.د.ت). محمد في المدينة .(شعبان بركات، تعريب). المكتبة العصرية. بيروت. ولد اباه، السيد .(1994) .التاريخ والحقيقة لدى ميشيل فوكو (ط. 1). دار المنتخب العربي. بيروت.
32. هويدي، خالد خليل، والطائي، نعمة دهش .(2015) .محاضرات في اللسانيات، سلسلة محاضرات على وفق مقررات اللسانيات في الجامعات العراقية .مكتبة نور الحسن للطباعة. بغداد.

Disclaimer/Publisher's Note: The statements, opinions, and data contained in all publications are solely those of the individual author(s) and contributor(s) and not of **CJHES** and/or the editor(s). **CJHES** and/or the editor(s) disclaim responsibility for any injury to people or property resulting from any ideas, methods, instructions, or products referred to in the content.